

مع صحابة الرسول

المجموعة الثانية

١١

م م م
عمير
م م م
بن وهب

نانيس محمد عزت

عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ

دعا الحاجُّ صالحُ أحفادهَ لَتَمْضِيَةِ أسبوعَيْنِ من إجازةِ
آخرِ السنةِ في مزرَعِهِ ، ففرِحَ الأولادُ وكتبوا دَعْوَةَ
جَدِّهِمْ ، فالْمَزْرَعَةُ واسعةٌ ، ومكانٌ مُناسبٌ للجريِ
واللُّعبِ ، فضلاً عن أنها فرصةٌ طَيِّبَةٌ لالتِّقائِهِمْ بِآبَاءِ
عُمَيْرَتِهِمْ ، واللُّعبِ معهم .

واختارَ الأولادُ الحديقةَ الخلفيةَ لِجُلُوسِ الْمَزْرَعَةِ ، لتكونَ
مكانَ تَجْمُعِهِمْ ولعِبِهِمْ . ولكنَّهُمْ لِلأسَفِ لم يَهْتَمُّوا
بِنِظَافَةِ الحديقةِ ونِظَافِهَا ، فَقطَعُوا الأزهارَ ، وَكسَرُوا
فُرُوعَ الأشجارِ ، ونَعَفَرُوا الأوراقَ المُهملةَ على أرضِ
الحديقةِ .

وعندما خَضِرَ جَدُّهُمْ ، ودخلَ الحديقةَ الخلفيةَ
لِلْمَنْزِلِ ، ساءَهُ ما لَحِقَ بِالحديقةِ من إهمالٍ وقَذارةٍ ،
فغَضِبَ من أحفادهِ وقالَ لَهُمْ : ما هذه الفَوَاضِي ؟ لقد

أفسدتم خديقتي الجميلة . وأنا مُستاءة منكم ومن
تصرفكم السيء فيها .

تخجل الأولاد من أنفسهم وقالوا : نحن آبقون على
ما فعلنا يا جدنا العزيز .

قال جدُّهم : أنتم مُطالبون بتنظيف المكان ، وإعادته
كما كان .

فبعد أن جمع الأولاد القاذورات والأوراق المهملّة ،
قال لهم جدُّهم : والآن ﴿ أَنِجِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمْحُهَا ﴾
كما قال الله تعالى . اذهبوا إلى المشتل المجاور ،
واشترُوا منه شجلات الأزهار ، لنعيدوا غرس ما
قطقتموه منها ، واخذُوا حذو الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عُمَيْرِ بْنِ
وَهْبٍ .

سأل مندوح : ومن هو عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ يا جَدِّي ؟
قال جدُّه : هو أحد صحابة الرسول — صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم — الذي ما أن أعلن إسلامه ، حتّى أقسم ألا

يَدْعُ مَكَانًا آذَى فِيهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 أو أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ - قَبْلَ إِسْلَامِهِ - إِلَّا وَبَذَكَرُ فِيهِ
 اللَّهُ ، وَيَدْعُو فِيهِ لِعِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَتْ سَلَمَى : هَلْ لَكَ يَا جَدِّي أَنْ تَحْكِيَ لَنَا قِصَّتَهُ ؟
 قَالَ جَدُّهَا : إِنَّ قِصَّتَهُ مُسَلِّيَّةٌ وَمُفِيدَةٌ ، تَعَالَوْا بِنَا إِلَى
 ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنَا أَخْكِيهَا لَكُمْ .

وَعِنْدَمَا بَدَأَ يَحْكِي قِصَّةَ عُثْمَيْرِ بْنِ زُهَبٍ ، قَالَ :
 - كَانَ عُثْمَيْرُ بْنُ زُهَبٍ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، دَاهِيَةً مُؤْذِيًا .
 تَفَنَّنَ فِي تَعْذِيبِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ، حَتَّى مَمُوءَ
 « شَيْطَانِ الْجَاهِلِيَّةِ » .

وَيَوْمَ بَدْرَ ، كَانَ هُوَ عَيْنَ قُرَيْشٍ الَّذِي أَرْسَلُوهُ
 لِيَسْتَطْلَعَ لَهُمْ عِدَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَمَيْلَ قُوَّتِهِمْ . وَبَذَكَابِهِ
 الْفُطْرَى وَقُوَّةَ بَصِيرَتِهِ ، عَادَ وَأَخْبَرَهُمْ بِعِدَّةِ الْمُسْلِمِينَ
 فَقَالَ : إِنَّهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ ، يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا .
 وَكَانَ خَدْمُهُ صَحِيحًا .

وَاسْتَطَرَدَ فَقَالَ : وَلَكِنِّي يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ رَأَيْتُ الْمَطَايَا
تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ .. قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ فَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ
إِلَّا سَيُوقَفُهُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى
يُقْتَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ ، فَانظُرُوا رَأْيَكُمْ .

وَكَاذَتْ كَلِمَاتُهُ أَنْ تُؤَثَّرَ فِي زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَيَعُودُوا
أَدْرَاجَهُمْ ، لَوْلَا أَبُو جَهْلٍ الَّذِي أَصْرَّ عَلَى الْمُضْيِ فِي
الْحَرْبِ ، وَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ إِصْرَارِهِ ، أَنْ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ
أَوَّلَ ضَحَايَاهَا .

هَذَا وَقَعَ ابْنُ مِنْ أَبْنَاءِ عُثْمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ فِي أَسْرِ
الْمُسْلِمِينَ .

فَقَالَ أَحْمَدُ : إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ كَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَزُعْمَانِهِمْ
بِمُتَابَةِ الطَّامَةِ الْكُثْرَى ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرَ عَلَى بَالِهِمْ أَنْ
هَؤُلَاءِ الْعَبِيدَ الضُّعَفَاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ مِنْ
دِيَارِهِمْ ، قَادِرُونَ عَلَى إلْحَاقِ الْهَزِيمَةِ بِهِمْ .

وَأَمَّنَ جَدُّهُ عَلَى كَلَامِ أَحْمَدَ فَقَالَ : صَدَقْتَ يَا أَحْمَدُ ،
وَكَانَتْ آثَارُ غَزْوَةِ بَدْرِ النَّفْسِيَّةِ ، أَشَدَّ عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ
آثَارِهَا الْمَلْمُوسَةِ ، فَاصْبَحَ لَأَكْثَرِ سَادَةِ قُرَيْشٍ ثَأْرٌ عِنْدَ
مُحَمَّدَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ لَهُ أَبٌ أَوْ أَخٌ ، أَوْ خَالَ أَوْ عَمٌ .

وَذَاتَ يَوْمٍ وَعُمَيْرٌ يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ ، إِذْ قَابَلَ ابْنَ عَمِّهِ
وَصَدِيقَهُ الْحَمِيمَ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، وَجَلَسَ الْاثنَانِ
يَعْدُو كِرَانِ بَدْرًا وَفَجِيعَتَهُمَا فِيهَا ، فَلِعُمَيْرِ ابْنِ أَسِيرٍ عِنْدَ
مُحَمَّدَ ، وَفَقَدَ صَفْوَانُ أَبَاهُ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ .

قَالَ عُمَيْرُ : وَاللَّهِ لَوْلَا ذَيْنِ عَلِيٍّ لَا أَمْلِكُ قَضَاءَهُ ،
وَعِيَالُ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي ، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ
حَتَّى أَقْتُلَهُ . فَإِنَّ لِي عِنْدَهُ عِلَّةً أَعْتَلُّ بِهَا عَلَيْهِ . أَقُولُ لَهُ
قَدِمْتُ مِنْ أَجْلِ ابْنِي هَذَا الْأَسِيرِ عِنْدَكَ .

النَّظْمُ صَفْوَانُ كَلِمَاتِ عُمَيْرِ ، فَقَالَ لَهُ مُشَجِّعًا :
عَلَى ذَيْنِكَ أَقْضِيهِ عَنْكَ ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أَوْاسِيهِمْ

ما بقوا .

قَالَ لَهُ عُمَيْرٌ : إِذَنْ فَاكْتُم شَأْنِي وَمِثْلَكَ .

هنا قَالَ مَمْدُوحٌ غَضِبَانِ أَسِيفًا : يَا لَهُمَا مِنْ نَذْلَيْنِ ،

أَسْلَمَا آذَانَهُمَا وَغَقَلَتَهُمَا لِلشَّيْطَانِ ، فَتَبًّا لَهُمَا !

هَذَا الْجَدُّ مَمْدُوحًا فَقَالَ : لَا تَغْضَبْ يَا وَلَدِي ، فَإِنَّهُ

— تَبَارَكَ وَتَعَالَى — فَاصْبِرْ أَمْرَهُمَا وَكَاشَفْ سِرَّهُمَا

لِرَسُولِهِ .

تَعَجَّبْتُ سَلَمِي وَسَأَلْتُ جَدُّهَا : أَحَقُّ هَذَا ؟ كَيْفَ

ذَلِكَ يَا جَدِّي ؟

قَالَ جَدُّهَا : أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشَجَدَ لَهُ وَسُيِّمَ ،

وَمَضَى بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَفِي الْمَدِينَةِ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ —

وَخَشِيَ مِنْهُ عَلَى الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ،

وَلَكِنْ الرَّسُولُ أَذْنَاهُ مِنْهُ وَسَأَلَهُ عَمَّا جَاءَ بِهِ .

فَكَرَّ عُمَيْرٌ وَقَالَ : إِنَّهُ جَاءَ فِي طَلَبِ ابْنِهِ الْأَسِيرِ الَّذِي
فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ .

وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ الرَّسُولُ عَنِ السَّيْفِ الَّذِي فِي غُنْفِهِ ،
قَالَ : قَبَّحَ اللَّهُ مَنْ سَيَّوَفَ ! وَهَلْ أَغْنَتْ عَنْهُ شَيْئًا ؟
هَذَا بَلَدٌ أَخْبَرَهُ الرَّسُولُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
بِأَمْرِ اتِّفَاقِهِ مَعَ صَفْوَانَ فَقَالَ : بَلْ قَعَدْتُ أَنْتَ وَصَفْوَانُ
بَنَ أُمَيَّةَ فِي الْحِجَرِ ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ — حَيْثُ
ذُفِنَ قَتْلَى بَدْرِ مِنْ قُرَيْشٍ — فَقُلْتُ : لَوْلَا ذُنُوبُ عَلِيٍّ
وَعِيَالُ عِنْدِي ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا . فَتَحَمَّلَ
صَفْوَانُ بِذُنُوبِكَ وَعِيَالَكَ عَلَيَّ أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللَّهِ حَائِلٌ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

ذَهَلَ عُمَيْرٌ حَدِيثَ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
فَالأَمْرُ كُلُّهُ كَانَ سِرًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَفْوَانَ ، فَأَيَّقَنَ بِصِدْقِ
نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ، وَصِدْقِ وَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ مِنْ قُودِهِ :
أَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا . فَصَدَّ كُنَّا بِأَرْسُولِ اللَّهِ

نُكَذِّبُكَ فِيمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَمَا يَنْزِلُ
عَلَيْكَ مِنَ الرُّوحِ ، وَلَكِنْ خَبَرِي مَعَ صَفْوَانِ بْنِ أُمَيَّةَ ،
لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا وَهُوَ . وَوَاللَّهِ لَقَدْ انْقَسَتْ الْآنَ أُنْدُ
مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَاقَنِي إِلَيْكَ
سَوَاقًا لِيَهْدِيَنِي إِلَى الْإِسْلَامِ .

لَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ خُوِّلَهُ : فَتَقَهُوا أَحَاكُمُ
فِي دِينِهِ ، وَعَلِّمُوهُ الْقُرْآنَ ، وَأَطْلِقُوا سَرَاحَ أُسَيْرِهِ .
قَالَ حَازِمٌ : لَقَدْ لَمَسَ عُصَيْرٌ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ
الرُّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَايَشَهَا ، ثَمَّ كَانَ
لَهَا الْأَثَرُ فِي إِسْلَامِهِ .

قَالَ جَدُّهُ : وَمَا أَنْ أَسَلَّمَ عُصَيْرٌ ، حَتَّى تَحْوَلَ مِنْ
شَيْطَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى حَوَارِيٍّ فِي الْإِسْلَامِ ، لِنَدَرِ
حَيَاتِهِ كُلَّهَا لِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ ، وَالتَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي
الَّذِينَ ، حَتَّى نَسِيَ مَكَّةَ وَمَنْ فِي مَكَّةَ جَمِيعًا .

قَالَتْ سَلَمَى : هَذَا صَحِيحٌ يَا جَدَى . وَمَاذَا عَنْ
صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقَدْ كَانَ يَتَوَقَّعُ مِنْ عُمَيْرٍ تَنْفِيذَ
اتِّفَاقِهِمَا ؟

تَبَسَّمَ جَدُّهَا وَقَالَ : لِعَلَّا يَا سَلَمَى . كَانَ صَفْوَانُ
مَوْفِقًا أَشَدَّ الْيَقِينِ مِنْ تَنْفِيذِ عُمَيْرٍ لِحُطْبَيْهِمَا . فَكَانَ
يَمْشِي فِي رُبُوعِ مَكَّةَ قَرِحًا مُخْتَالًا ، مُبَشِّرًا سَادَتَهَا
بِقَوْلِهِ : أَبَشِّرُوا بِنَبَأٍ عَظِيمٍ ، يَأْتِيكُمْ قَرِيبًا فَيُنْسِيكُمْ وَقَعَةَ
بَدْرٍ .

وَتَاخَّرَتِ الْبِشَارَةُ الَّتِي أَنْتَظَرَهَا صَفْوَانُ طَوِيلًا ، فَبَدَأَ
يُسَاوِرُهُ الْقَلَقُ ، وَيَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ : هَلْ حَدَثَ
فِيهَا خَطْبٌ جَلِيلٌ ؟ إِلَى أَنْ جَاءَهُ الرَّؤْدُ بِالْإِيجَابِ . وَعِنْدَمَا
سَأَلَ عَنْ الْحَدَثِ مَا هُوَ ؟ كَانَ الْجَوَابُ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ
وَهْبٍ قَدْ أَسْلَمَ ، وَتَفَقَّهَ الْآنَ فِي الدِّينِ .
وَأَصِيبَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بِخَبَرِ أَمَلٍ عَظِيمٍ .

فَصَحَّحَ الْأَوْلَادُ مُسْرُورِينَ . وَأَكْمَلَ جَدُّهُمُ الْقِصَّةَ
فَقَالَ : وَنَعُودُ لَعُمَيْرٍ فِي الْمَدِينَةِ ، لِنَرَى أَنَّهُ عِنْدَمَا أَتَمَّ
حِفْظَ الْقُرْآنِ وَدِرَاسَتَهُ ، وَتَفَقُّهُ فِي الدِّينِ ، عَزَمَ عَلَى أَنْ
يَخْدُمَ الَّذِينَ يَقْدِرُ مَا حَارَبَهُ ، وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَيْهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا
صِدِّيقَهُ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — :
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا فِي إِطْفَاءِ نَوْرِ اللَّهِ ،
شَدِيدَ الْأَذَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلَلٌ . فَأُجِيبُ
الْآنَ أَنْ تَأْذَنَ لِي بِأَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ ،
وَالْآنَ آذِيْنُهُمْ فِي دِينِهِمْ كَمَا كُنْتُ أُوذِي أَصْحَابَكَ فِي
دِينِهِمْ .

وَعَادَ عُمَيْرٌ إِلَى مَكَّةَ يَدْعُو لِدِينِ اللَّهِ ، وَيُشِيرُ سَبِيلَهُ
فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ يَقِفُ فِي طَرِيقِهِ . وَصَدَّقَ وَعْدَهُ
لِرَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَمَا تَرَكَ مَكَانًا
آذَى فِيهِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا وَدَّعَا فِيهِ لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ .

فكان منهجه الذى سارَ عليه فى الإسلام : واللّه
لا أدعُ مكاناً جلستُ فيه بالكُفر ، إلّا وجلستُ فيه
بالإيمان .

ولقبه صفوان ، الذى ما أن رآه حتى همَّ بمهاجمته ،
ولكن ميفَ غميرٍ المشهر ، أوقفه عندَ حدّه . فاكثى
صفوان بأن ألقى على سمعيه سيلاً من الشئام ، ثم
مضى لحاله .

واستطاع حوارِيّ الإسلامِ غميرُ بنُ وهب ، أن يقنع
الكثيرينَ بالإسلام ، فكُتِبَتْ لَهُ المِدايِنَةُ على يدِ غمير ،
الذى عاذَ إلى المَدِينَةِ فى موكِبٍ من أهلِ مَكَّةَ ، يُكَبِّرونَ
ويُهَلِّلونَ ، فَرَحِينَ بِإِسْلَامِهِمْ ، وِبِلِقَاءِ الرُّسُولِ الْكَرِيمِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

قال أحمد : صدقتْ يا جَدِي ، فغميرٌ مثالٌ يُحَفِّدِي
فى إتباعِ السُّبَّةِ الحَسَنَةِ تَمَحُّهَا ، فها هو يُكْفَرُ عن صَدِّهِ

عن سبيل الله وعن شركه ، بالدعوة إلى الدين ، فكان
سبباً في دخول الكثيرين من أهل مكة في الإسلام .
وسألت سلمى : ولكن كيف تحول غمير من النقيض
إلى النقيض ، وكيف تحول من شيطان في الجاهلية إلى
خواري في الإسلام ؟

قال جدّها : إنه نور الإسلام .. نور القرآن يا بني
الذي ما إن يدخل القلب إلا وينوره .

وكتب الله للمسلمين الفتح الأعظم ، ودخلوا مكة
منتصرين يكبرون ويهللون . دخلوها بدون قتال ،
أقوياء أعزاء بعد أن أخرجوا منها مستخفين يسألون
تحت جح الظلام . وعزّ على غمير أن يترك قريته
وصديقه صفوان بن أمية فريسة للشيطان . هذا وقد
قرب صفوان إلى جدة ليبحر منها إلى اليمن ، فذهب
غمير إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلب

منه الأمان لصقوان ، فأمنه الرسول وأعطاه عمامة التي
دخل بها مكة ، لتكون آية لصقوان يعرف بها أماله .
وعاد صفوان إلى المدينة ، وطلب شهرتين مهلة
للخيار جعلها — صلى الله عليه وسلم — أربعة
أشهر ، فكانت فرصة لصقوان راجع فيها نفسه ، وعاد
فيها إلى صوابه فأعلن إسلامه .

قال أحد : إن غميراً صديقٌ وفيّ ، لم يشأ أن يُزك
قريةً وصديقه في الظلمات ، وأصرَّ على أن يصل به
إلى بر الأمان .

قال جده : إنها — كما قلت لكم يا أحفادي —
أخلاق الإسلام التي تشبع بها غمير . ولا تنسوا أنه
كان سبيًا في إسلام الكثيرين من الكفار .

قال حازم : نشكرك يا جدنا العزيز على قصبك
الثابتة المفيدة .

وقال تمدوح : هيا يا أولاد .. هيا لنبيع السينة
الحسنة تمحها .. وتعالوا لنصلح ما أفسدناه لتكون
الحديقة أجمل مما كانت .

قال جدّهم : هل تريدون أن أساعدكم ؟
فراح الأولاد وقالوا : بالطبع نريد . فحسن نجب أن
تساعدنا ، كما نحبك ونحب أن نكون دائماً معاً .
فهيا لنحضر الشتلات ونبدأ الزراعة في الحال .